Al-Abṣār (Research Journal of Fiqh & Islamic Studies)
ISSN: 2958-9150 (Print) 2958-9169 (Online)
Published by: Department of Fiqh and Shariah, The Islamia University of Bahawalpur.
Volume 05, Issue 01, January-June 2026, PP: 107-124
Open Access at: https://journals.iub.edu.pk/index.php/al-absar/about

الشباب المسلم بين أزمة الهوية وغياب الغاية: رؤية تربوية في ضوء السيرة النبوية

Muslim Youth Between Identity Crisis and the Absence of Purpose: A Pedagogical Perspective in the Light of the Prophetic Seerah

Dr. Kaleem Ullah
Lecturer, Department of Islamic Studies, University of Balochistan, Quetta.
(Corresponding Author, kaleem511@gmail.com)

Abstract

Muslim youth today face growing challenges related to identity crisis, loss of purpose, moral uncertainty, and intellectual confusion, particularly in the context of globalization, digital transformation, and social media. This study examines these challenges and explores the Prophetic educational approach as a comprehensive framework for the intellectual, spiritual, moral, and social development of Muslim youth. Adopting an analytical approach, the study investigates the educational principles derived from the Seerah of the Prophet Muhammad (peace be upon him), including the strengthening of faith, cultivation of critical thinking, moral purification, emotional balance, leadership development, and social responsibility. Selected examples from the lives of young Companions, including Ali ibn Abi Talib, Mus'ab ibn Umayr, Mu'adh ibn Jabal, Usama ibn Zayd, and Abdullah ibn Abbas, illustrate the practical application of these principles. The study further explores their relevance to contemporary family, educational, social, digital, and institutional contexts. The findings demonstrate that the challenges facing Muslim youth cannot be addressed through fragmented or purely informational approaches; rather, they require an integrated educational framework that connects faith, knowledge, ethics, and purposeful living. The study proposes an

All Rights Reserved © 2022 This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Integrated Prophetic Youth Development Framework as a practical and theoretical model for fostering identity-conscious, ethically grounded, intellectually competent, and socially responsible young Muslims. It concludes that the Seerah offers enduring educational principles capable of addressing contemporary youth challenges while promoting a balanced relationship between Islamic identity and modern realities.

Keywords

Muslim Youth, Identity Crisis, Prophetic Seerah, Youth Development, Moral Education, Leadership.

التمهيد

خلق الله تعالى الإنسان لغاية سامية، واستخلفه في الأرض ليقوم بواجب العبودية والإصلاح، وزوّده بالعقل والإرادة والقدرة على التمييز، وجعل حياته قائمة على المسؤولية لا على العبث، قال تعالى :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[1]. ومن ثمّ فإن بناء الإنسان فكريًا وأخلاقيًا يُعدُّ مقصدًا أساسيا من مقاصد الرسالة الإسلامية، لأن صلاح الفرد أساس صلاح المجتمع.

وتُعَدُّ مرحلة الشباب أهم مراحل التكوين الإنساني؛ ففيها تتشكل الهوية، وتتحدد القيم، وتتبلور الغايات، وتتكون الشخصية الفكرية والأخلاقية. فإذا وُجِّه الشباب توجيهًا صحيحًا أصبحوا قوةً للإصلاح والعمران، أما إذا فقدوا البوصلة الفكرية والغاية من الحياة انعكس ذلك على الفرد والمجتمع معًا. ولذلك أولى الإسلام عنايةً خاصة بالشباب، وعدَّ تربيتهم استثمارًا لمستقبل الأمة لا مجرد رعايةٍ لمرحلة عمرية.

وقد قدَّم القرآن الكريم نماذج شبابية مثالية، كإبراهيم عليه السلام في ثباته على التوحيد، ويوسف عليه السلام في عفته وأمانته، وأصحاب الكهف في تمسكهم بالإيمان، مبينًا أن الشاب المؤمن قادر على صناعة التحول الحضاري متى ارتبط بالهداية الإلهية. ثم جاءت السيرة النبوية لتجسد هذه المبادئ في واقع عملي؛ إذ لم يكتفِ النبي ﷺ بتوجيه الشباب وإرشادهم، بل صنع منهم قادةً وعلماء ودعاةً، وأسند إليهم مسؤوليات علمية وإدارية ودعوية، فغرس فيهم الثقة، ونمّى قدراتهم، وربط بين العلم والإيمان والعمل.

وفي المقابل، يعيش الشباب المسلمون اليوم تحولات فكرية وثقافية متسارعة فرضتها العولمة والثورة الرقمية والذكاء الاصطناعي ووسائل التواصل الاجتماعي، فأصبحت أزمة الهوية وغياب الغاية من أبرز التحديات التي تواجههم، إلى جانب الشكوك الفكرية، والنسبية الأخلاقية، والتشتت المعرفي، وضعف الانتماء القيمي. ولم يعد التحدي الرئيسي نقص المعلومات، وإنما غياب المرجعية التي تمنح المعرفة معناها، والحياة مقصدها.

ورغم كثرة الدراسات التي تناولت قضايا الشباب أو السيرة النبوية كلّا على حدة، فإن الحاجة ما تزال قائمة إلى دراسة تربط بين الواقع الفكري للشباب وبين المنهج التربوي النبوي في إطار تحليلي متكامل. ومن هنا يسعى هذا البحث إلى بيان أن السيرة النبوية ليست مجرد سجل تاريخي، بل تمثل رؤية تربوية متكاملة قادرة على معالجة أزمة الهوية وغياب الغاية لدى الشباب المسلم، من خلال تشخيص أسباب الأزمة، واستنباط الأصول التربوية النبوية، وبيان تطبيقاتها العملية، ثم إبراز إمكانات الإستفادة منها في الواقع المعاصر.

المبحث الأول : تشخيص أزمة الهوية وغياب الغاية لدى الشباب المسلم في العصر الحاضر

المطلب الأول: مفهوم الشباب وأهميته في المنظور الإسلامي

لا يمثل الشباب مجرد فئة عمرية، بل يُعدّون القوة الفكرية والحضارية التي تُبنى عليها نهضة الأمم و استقرارها. وقد أثبتت التجارب التاريخية أن معظم حركات الإصلاح والتجديد قادها الشباب بما يمتلكونه من طاقة، وحيوية، واستعداد للتغيير، في حين أن انحرافهم فكريًا وأخلاقيًا يقود إلى اضطراب المجتمع وتراجعه الحضاري. ومن هنا أولى الإسلام عنايةً خاصة بالشباب، وعدَّ تربيتهم مسؤولية دينية وحضارية.

وفي اللغة يدل لفظ الشباب على القوة والنماء، أما في التصور الإسلامي فلا يقتصر على مرحلة عمرية محددة، بل يشير إلى مرحلة تتشكل فيها الهوية، وتترسخ القيم، وتتحدد غاية الإنسان ومسؤوليته في الحياة، ولذلك كانت هذه المرحلة أكثر قابلية للتوجيه والبناء. وقد ربط القرآن الكريم الشباب بالإيمان والعزيمة وتحمل المسؤولية، كما في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[2]

فلم يكن وصفه بالفتى مجرد بيان لسنّه، بل إشارة إلى شجاعته الفكرية وثباته على التوحيد. وكذلك وصف الله أصحاب الكهف بقوله:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[3]

وتدل الآية على أن الإيمان في مرحلة الشباب يمثل أساسًا للنمو الفكري والروحي، وأن الهداية تزداد كلما رسخ الإيمان في القلب.

وقد جسدت السيرة النبوية هذا التصور نظريا وعمليًا؛ أما نظريا فلتأكيده الشديد على اغتنام لحظات الشباب قبل طروء الشيخوخة حيث قال-صلوات الله وسلامه عليه-: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ...[4]

أما من الناحية العملية فلم ينتظر النبي ﷺ حتى يبلغ الشباب سنَّ الكهولة، بل هيأهم منذ وقت مبكر لتحمل المسؤولية، فكلف مصعب بن عمير بالدعوة في المدينة، وبعث معاذ بن جبل معلّمًا وقاضيًا إلى اليمن[5]، وولّى أسامة بن زيد قيادة الجيش مؤكدا كفاءته الذاتية لذاك قائلا:

«أن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»[6] وأعدَّ عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ليكونا من

أئمة العلم. ويكشف ذلك عن أصل تربوي مهم، وهو أن القيادة في الإسلام تقوم على الكفاءة والتربية لا على السن أوالمكانة الاجتماعية.

وفي العصر الحاضر تزداد أهمية الشباب باعتبارهم أكثر الفئات تأثيرًا في حركة المعرفة والتقنية والتحول الاجتماعي، غير أنهم يواجهون تحديات فكرية غير مسبوقة نتيجة الانفتاح الثقافي والثورة الرقمية. ومن ثم فإن فهم الشباب في المنظور الإسلامي يمثل المدخل الأساس لتشخيص أزماتهم الفكرية والبحث عن معالجتها في ضوء السيرة النبوية.

المطلب الثاني: مفهوم أزمة الهوية وغياب الغاية و أبرز مظاهرها

تواجه شريحة واسعة من الشباب اليوم أزمات متعددة تبدو في ظاهرها متفرقة، كالتشكيك الديني، و الاضطراب النفسي، والتطرف، والإدمان الرقمي، وضعف الانتماء، إلا أن هذه الظواهر تعود في جوهرها إلى أزمةأعمق تتمثل في أزمة الهوية وغياب الغاية .ومن ثم فإن الاقتصار على تفسيرها تفسيرًا نفسيًا أو اجتماعيًا لا يكشف حقيقتها الكاملة.

ويقوم الفكر في الإسلام على التأمل الواعي الذي يقود إلى الإيمان الصحيح والعمل الصالح، ولذلك أكثر القرآن من الدعوة إلى التفكر والتدبر والتعقل، لأن الإيمان لا يقوم على التقليد المجرد، وإنما على المعرفة والبصيرة. فإذا انفصل الفكر عن هداية الوحي، وأصبحت الأهواء أو الضغوط الثقافية هي المرجع في الحكم والتوجيه، ظهرت حالة من الاضطراب الفكري وفقدان المعايير، فلم يعد الإنسان يميز بين الحق والباطل أو بين الثابت والمتغير. ويرتبط بذلك غياب الغاية؛ إذ يقرر القرآن أن للحياة مقصدًا واضحًا، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[7]

فالعبادة في مفهومها القرآني منهج حياة يقوم على تحقيق العبودية لله وإعمار الأرض بالعدل والخير. وإذا غابت هذه الغاية تحولت الحياة إلى سلسلة من الإنجازات المادية التي قد تحقق النجاح الظاهري، لكنها لا تمنح الإنسان الطمأنينة والمعنى.

ومن أبرز مظاهر هذه الأزمة اضطراب مفهوم النجاح، حيث أصبحت الشهرة والثروة والحضور الرقمي مقاييس أساسية للتفوق، بينما تراجعت قيم العلم، والأمانة، وخدمة المجتمع، وتحمل المسؤولية. كما برزت أزمة الهوية نتيجة تعدد المرجعيات الثقافية والإعلامية، فأصبح كثير من الشباب يتأرجح بين هويته الإسلامية، وانتمائه الثقافي، والهوية الرقمية التي تفرضها وسائل التواصل، مما أدى إلى ضعف الانسجام بين القناعة والسلوك.

ويضاف إلى ذلك انتشار النسبية الأخلاقية التي تنكر وجود معايير ثابتة للخير والشر، فتجعل الأخلاق خاضعة للأذواق والاتجاهات المتغيرة، بينما يؤكد الإسلام أن القيم الأخلاقية تستند إلى الوحي والفطرة، وبذلك تحقق للفرد الاتزان وللمجتمع الاستقرار[8].

ويتبين من ذلك أن ضياع الهوية وغياب الغاية يُعدّ من أخطر التحديات الفكرية والتربوية التي تواجه الشباب في العصر الحديث، إذ لم تعد الأزمة مقتصرةً على نقص الإمكانات أو ضعف الفرص، وإنما أصبحت أزمةً تمسُّ التصور الذي يحمله الإنسان عن نفسه، ورسالة وجوده، وموقعه في هذا الكون. فالهوية ليست مجرد انتماءٍ اسمي أو ثقافي، بل هي منظومة متكاملة من العقائد والقيم والمبادئ التي تمنح الإنسان شعوره بالانتماء، وتحدد نظرته إلى الحياة، وتوجِّه قراراته وسلوكه[9]. وإذا اختلَّت هذه المنظومة، أو تعرضت للتشويش، فقد الإنسان بوصلته الفكرية، وأصبح أكثر قابليةً للتأثر بالأفكار الوافدة والاتجاهات المتغيرة.

وقد أسهمت التحولات الحضارية المتسارعة، وثورة الاتصال الرقمي، والعولمة الثقافية، في إضعاف المرجعيات التقليدية التي كانت تؤدي دورًا مهمًّا في بناء الهوية، فأصبح كثير من الشباب يعيش حالةً من التردد بين منظومات فكرية متعددة، يتلقى قيمه من مصادر متباينة، قد تتعارض في رؤيتها للإنسان، وللأخلاق، ولمعنى النجاح والسعادة. ونتيجة لذلك برزت أنماط من الاغتراب الفكري، وفقدان الانتماء، واضطراب الأولويات،حتى غداكثيرمن الشباب يمتلك وسائل العيش،لكنه يفتقدالمعنى الذي يعيش من أجله.

ويرتبط ضياع الهوية ارتباطًا وثيقًا بغياب الغاية؛ لأن الإنسان إذا لم يدرك الحكمة من وجوده، ولم يستوعب رسالته في الحياة، تحولت طاقاته إلى أهداف آنية ومؤقتة، وأصبح النجاح في نظره مقصورًا على المكاسب المادية أو المكانة الاجتماعية أو الشهرة الرقمية. غير أن هذه الغايات الجزئية، مهما تحققت، لا تمنح الإنسان الطمأنينة الداخلية، لأنها لا تجيب عن الأسئلة الوجودية الكبرى المتعلقة بالمصير، والمسؤولية، والقيم، والغاية النهائية للحياة.

ومن المنظور الإسلامي، لا يمكن فصل الهوية عن العقيدة، ولا الغاية عن الاستخلاف؛ فالقرآن الكريم يربط وجود الإنسان بعبادة الله تعالى، وعمارة الأرض، وتحقيق الخير والإصلاح، وهو ما يمنح الحياة معناها الحقيقي، ويجعل جميع الأنشطة الإنسانية من علمٍ، وعملٍ، وإبداعٍ، وإنتاجٍ، جزءًا من رسالة حضارية شاملة. ومن ثم فإن بناء الهوية الإيمانية لا يعني الانغلاق عن العصر أو رفض معطياته، وإنما يعني امتلاك مرجعية ثابتة يستطيع الإنسان من خلالها التفاعل مع المتغيرات دون أن يفقد ثوابته أو يذوب في غيره.

ومن هنا فإن معالجة أزمة الهوية لا تتحقق بمجرد الخطاب الوعظي أو تكثيف المعلومات الدينية، بل تحتاج إلى مشروع تربوي متكامل يعيد للشباب بناء وعيهم بذواتهم، ويغرس فيهم الثقة بدينهم، ويعمق إدراكهم لمقاصد الحياة، ويوازن بين الأصالة والانفتاح، وبين الثبات والتجديد. وعندئذ تتحول الهوية من مجرد شعور بالانتماء إلى قوة دافعة للإبداع، والعمل، والمشاركة الحضارية، ويصبح الشاب أكثر قدرة على مواجهة التحديات الفكرية والثقافية التي يفرضها الواقع المعاصر، وهو مدركٌ لرسالته، وواثقٌ بمرجعيته، ومؤمنٌ بدوره في بناء مجتمعه وأمته.

المطلب الثالث: أسباب أزمة الهوية وغياب الغاية لدى الشباب المعاصر

لا تنشأ أزمة الهوية وغياب الغاية من سبب واحد، وإنما هي حصيلة تفاعل عوامل فكرية واجتماعية وتقنية

متشابكة، أثرت في منظومة القيم، وطرق التفكير، ومعايير النجاح لدى الشباب. ويمكن تصنيف هذه العوامل في ثلاثة محاور رئيسة:

أولاً: الأسباب الفكرية

تُعد التحولات الفكرية الحديثة من أبرز أسباب الأزمة؛ إذ أسهمت النزعة العلمانية والمادية في تقليص حضور الدين في توجيه الحياة، وربطت النجاح بالإنجاز المادي أكثر من ارتباطه بالقيم والأخلاق. كما أدى انتشار الشبهات الفكرية وضعف التأصيل الشرعي إلى اتساع دائرة الشك لدى بعض الشباب، ولا سيما مع غياب المنهج العلمي الذي يجمع بين العقل والوحي[10].

ويضاف إلى ذلك شيوع النسبية الأخلاقية التي تنكر وجود معايير ثابتة للخير والشر، مما جعل الأحكام الأخلاقية خاضعة للأهواء والاتجاهات المتغيرة، فضلًا عن النزعة الاستهلاكية التي ربطت قيمة الإنسان بما يملك لا بما يحمل من علم وخلق، فترتب على ذلك ضعف المعنى الحقيقي للنجاح وازدياد الشعور بالفراغ واللاجدوى.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية والثقافية

لا يقل أثر البيئة الاجتماعية أهمية عن العوامل الفكرية؛ فضعف الحوار الأسري، وتراجع التربية الإيمانية، وانشغال المؤسسات التعليمية بالمعرفة المجردة على حساب بناء الشخصية، كلها عوامل أضعفت الهوية الفكرية لدى الشباب. كما أسهمت العولمة الثقافية والانفتاح الإعلامي في تعميق أزمة الانتماء، خاصة مع غياب القدوات الصالحة، وسيطرة نماذج إعلامية تجعل الشهرة والثراء معيارًا للنجاح بدل العلم والأخلاق وخدمة المجتمع، الأمر الذي أحدث اضطرابًا في سلم الأولويات والقيم.

ثالثاً: الأسباب التقنية والرقمية

أحدثت الثورة الرقمية تحولًا جذريًا في مصادر المعرفة وأنماط التواصل، إلا أن الإفراط في استخدامها أفرز تحديات فكرية جديدة. فقد أدت وسائل التواصل الاجتماعي إلى وفرة هائلة في المعلومات دون ضمان جودة المعرفة، كما ساهمت خوارزميات المنصات الرقمية في حصر المستخدم داخل دوائر فكرية متشابهة، مما يضعف الحوار الموضوعي والانفتاح على الرأي الآخر.

ومن جهة أخرى، يسهم الاعتماد المفرط على تطبيقات الذكاء الاصطناعي في إضعاف مهارات التفكير النقدي والبحث المستقل إذا استُخدمت بديلاً عن التعلم، كما أن الانغماس المستمر في العالم الرقمي يقلل من فرص التأمل، ويضعف العلاقات الإنسانية المباشرة، ويزيد من الشعور بالاغتراب وفقدان المعنى.

لذا فتبين مما سبق أن أزمة الهوية وغياب الغاية ليست نتاج عامل منفرد، بل هي نتيجة تفاعل التحولات الفكرية والاجتماعية والرقمية. ومن ثم فإن معالجتها لا تتحقق بإجراءات جزئية، وإنما تتطلب منهجًا تربويًا متكاملًا يعيد بناء العلاقة بين الإيمان والفكر، وبين القيم والسلوك، وبين الغاية والمسؤولية، وهو ما تجسده السيرة النبوية، التي ستتناولها الدراسة في المبحث التالي باعتبارها نموذجًا تربويًا متكاملًا لبناء شخصية الشباب.

المبحث الثاني: الأسس التربوية في بناء الهوية والغاية لدى الشباب في السيرة النبوية

المطلب الأول: ترسيخ التوحيد وبناء الغاية في الحياة

يقوم المنهج التربوي النبوي على ترسيخ التوحيد بوصفه الأساس الذي تُبنى عليه شخصية المسلم؛ إذ لا يمكن بناء الفكر أو الأخلاق أو السلوك من غير تصور صحيح لله تعالى ولغاية الوجود الإنساني. ومن ثم لم يبدأ النبي ﷺ بإعداد الشباب من خلال المهارات أو الإصلاحات الاجتماعية، وإنما بدأ بإصلاح العقيدة، لأنها المرجعية التي تنظم حياة الإنسان وتوجّه خياراته. وهذا كما أخرج ابن ماجة عن جندب بن عبد الله، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة، «فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا»[11] قال السندي رحمه الله تعالى:

(حَزَاوِرَةٌ) جمع الحَزْوَر، ويقال له: الحزور بتشديد الواو ؛ هو الغلام إذا اشتد وقوي وحَزُم .

كذا في الصحاح، وفي النهاية: هو الذي قارب البلوغ.[12]

ويؤكد القرآن هذا الأصل بقوله تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[13]، فالعبادة في مفهومها القرآني ليست شعائر مجردة، بل هي منهج شامل يجعل جميع أعمال الإنسان خاضعة لرضا الله تعالى، وبذلك تتوحد أهداف الحياة وتكتسب معناها الحقيقي.

وقد تجلى هذا الأصل بوضوح في التربية النبوية خلال المرحلة المكية، حيث انصبّ الاهتمام على ترسيخ الإيمان، وتعميق الشعور بالمسؤولية، وربط الإنسان بربه قبل تكليفه بأعباء المجتمع والدولة. ومن أبلغ الشواهد وصية النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل لا يعكس مدى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بابن عمه اليافع فحسب، بل يلقن شباب الأمة بأكملها كذلك درسا مهما في الحياة والعقيدة والمنهج، إذ قال:

«يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قدكتبه الله لك،ولواجتمعوا على أن يضروك بشيءلم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[14]

فهذه الكلمات تغرس في نفس الشاب التوكل، والثقة بالله، واستحضار الرقابة الإلهية، وهي القيم التي تُكوّن أساس الشخصية المؤمنة. كما وجّه النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه عند إرساله إلى اليمن أن يبدأ دعوته بتوحيد الله قائلا:

"ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله..."[15]

مما يدل على أن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح التصور العقدي، وأن بناء الغاية يسبق بناء السلوك. وتبرز أهمية هذا الأصل في الواقع المعاصر؛ إذ يعيش كثير من الشباب تعددًا في الأهداف، بينما تغيب عنهم الغاية الجامعة التي تمنح

الحياة معناها. ومن هنا تقدم السيرة النبوية التوحيد باعتباره القوة التي توحّد الفكر والسلوك، وتجعل العلم والعمل والنجاح وسائل لتحقيق عبودية الله وخدمة الإنسان، لا غايات مستقلة بذاتها.

المطلب الثاني: تنمية التفكير والتدبر وبناء البصيرة

لم تقتصر التربية النبوية على غرس الإيمان، بل أولت عناية خاصة ببناء العقل وتنمية القدرة على الفهم والاستدلال، فكان الهدف إعداد شباب يمتلكون بصيرةً تمكنهم من التعامل مع المتغيرات في ضوء الوحي.

وقد ربط القرآن بين الإيمان والتفكر، فقال تعالى :﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[16] ، وقال :﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[17] ، مما يدل على أن التفكير الواعي جزء أصيل من المنهج الإسلامي، وأن العقل يعمل في هداية الوحي لا بمعزل عنه.

وانعكس هذا المبدأ في سيرة النبي ﷺ؛ إذ كان يشجع الشباب على السؤال والحوار، ويُنمّي فيهم الفهم قبل الحفظ. وقد دعا لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله:"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[18]، فكانت هذه الدعوة أساسًا لما عُرف به من سعة الفقه وعمق الفهم.

كما يظهر هذا المنهج في حواره مع معاذ بن جبل رضي الله عنه قبل بعثه إلى اليمن، حين سأله عن منهجه في القضاء، فأقرَّ اجتهاده المنضبط بالقرآن والسنة، وأبدى رضاه حين سمع معاذا يقول: أجتهد برأيي، فشكر الله عز وعلا على ذلك قائلا: " «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله»[19] وهو ما يؤكد أن التربية النبوية لا تكتفي بتلقين الأحكام، بل تُنشئ ملكة التفكير والاجتهاد المسؤول.

وفي ظل الثورة الرقمية وتدفق المعلومات، تزداد الحاجة إلى هذا الأصل التربوي؛ إذ لم تعد المشكلة في قلة المعرفة، وإنما في ضعف التمييز بين الصحيح والخاطئ، وقصور التفكير النقدي، وغياب القدرة على الربط بين المعرفة والقيم. ومن ثم فإن المنهج النبوي يقدم نموذجًا متوازنًا يجمع بين العقل والوحي، ويجعل العلم وسيلة لبناء الإنسان، لا مجرد تراكم للمعلومات.

وتؤكد هذه المعالجة أن بناء الغاية لا يكتمل إلا ببناء الفكر، وأن الشباب لا يستطيعون مواجهة تحديات العصر إلا إذا امتلكوا إيمانًا راسخًا، وبصيرةً ناقدة، ومنهجًا علميًا منضبطًا. ومن هنا ينتقل البحث إلى الأصل الثالث، وهو بناء الثقة، وتحمل المسؤولية، وإعداد الشباب للقيادة.

المطلب الثالث: بناء الثقة وتحمل المسؤولية وصناعة القيادة

تزخر السيرة النبوية بأمثلة حيّة في بناء الثقة وتحمل المسؤولية وصناعة القيادة؛ فالرسول ﷺ لم يكن قائداً يكتفي بإصدار الأوامر، بل كان مربياً يصنع الرجال، ويغرس فيهم الثقة، ويدربهم عملياً على مواجهة التحديات، ليبني جيلاً قادراً على إدارة شؤون الأمة. فقد ولّى النبي ﷺ الشاب أسامة بن زيد قيادة جيش المسلمين وفيه كبار الصحابة، ليؤكد أن الشباب أهل للثقة والتمكين، كما أرسل مصعب بن عمير سفيراً ومعلماً لأهل المدينة وهو في مقتبل العمر، فغرس فيه روح المسؤولية والوعي القيادي. ولم يكن يعنف أصحابه عند الخطأ، بل كان

يحتضنهم ويمنحهم الثقة، كما فعل مع خالد بن الوليد حين أخطأ في تكتيك عسكري، فلقبه بسيف الله المسلول، ليحوّل الإخفاق إلى دافع يقوده نحو أعظم الانتصارات[20].

وكان ﷺ يشارك أصحابه في العمل الشاق، يحمل التراب ويعمل معهم في حفر الخندق، ليكون القدوة العملية في تحمل المشاق[21]، كما أرست قيادته مبدأ المسؤولية الشاملة بقوله" :كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته[22] ."

وفي إدارة الهجرة النبوية وزّع الأدوار بدقة بين أصحابه، فجعل التخطيط لأبي بكر، وجمع المعلومات لعبد الله بن أبي بكر، والإمداد لأسماء بنت أبي بكر، والتمويه لعامر بن فهيرة، والدليل لعبد الله بن أريقط،[23] ليقدّم نموذجاً مؤسسياً في القيادة الجماعية. وكان يترك للصحابة مساحة للاجتهاد والتجربة، كما فعل مع معاذ بن جبل حين أرسله قاضياً إلى اليمن، فاختبر منهجيته في القضاء ليؤكد وعيه وتحمله للمسؤولية. بهذا النهج، صنعت السيرة النبوية مدرسة متكاملة في القيادة، تجمع بين الثقة والقدوة والتوزيع المؤسسي للأدوار، وتقدّم للأمة نموذجاً عملياً في بناء الإنسان القادر على حمل الرسالة وإدارة المجتمع.

المطلب الرابع: تزكية النفس وبناء الأخلاق

تحتل تزكية النفس مكانةً محورية في المنهج التربوي النبوي، إذ لا تكتمل شخصية الشاب بالعلم أو المهارة وحدهما، ما لم تُبنَ على الإخلاص والتقوى وحسن الخلق. وقد جعل القرآن الكريم التزكية من المقاصد الأساسية لبعثة النبي ﷺ، قال تعالى :﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[24]، مما يدل على أن إصلاح الباطن أساس لإصلاح السلوك.

وقد ربّى النبي ﷺ الشباب على جملة من القيم، في مقدمتها الإخلاص، والصدق، والأمانة، والصبر، والعفة، والحياء، والإحسان، حتى أصبحت هذه القيم جزءاً من شخصياتهم وسلوكهم العملي. ولم تكن هذه الأخلاق توجيهات نظرية، بل ظهرت آثارها في مواقفهم العلمية والدعوية والاجتماعية، فأثمرت جيلاً جمع بين قوة الإيمان، ونبل الأخلاق، وتحمل المسؤولية.

وتزداد أهمية هذا الأصل في العصر الحاضر، حيث يواجه الشباب تحديات أخلاقية متزايدة بفعل المادية، وثقافة الاستهلاك، والسعي وراء الشهرة الرقمية، مما يجعل بناء الضمير الأخلاقي أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى. ومن ثم فإن السيرة النبوية تقدم نموذجاً تربوياً متكاملاً يربط بين الإيمان والأخلاق والعمل، ويجعل صلاح الباطن أساساً لاستقامة الظاهر. وبذلك يتبين أن صناعة الشخصية في الإسلام لا تقوم على تنمية القدرات فحسب، بل على بناء الإنسان الصالح الذي يجمع بين العلم والخلق، وهو ما يؤهله للقيام بدوره في إصلاح نفسه ومجتمعه.

المطلب الخامس: الاعتدال والتوازن النفسي والاستقرار الانفعالي

لا تقتصر التربية النبوية على بناء العقيدة والعلم والأخلاق، بل تمتد إلى بناء شخصية متوازنة قادرة على ضبط انفعالاتها والتعامل مع تحديات الحياة بحكمة وثبات. وقد جعل القرآن الكريم الاعتدال سمةً للأمة الإسلامية،فقال تعالى :﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[25]،وهو مبدأ يشمل توازن الفكر والسلوك والانفعالات.

ومن أبرز معالم هذا المنهج تربية الشباب على ضبط النفس، كما في قوله ﷺ: لا تغضب[26]، وقوله: ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.[27] فالقوة الحقيقية ليست في الانفعال، وإنما في القدرة على التحكم فيه وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

كما رسخ النبي ﷺ معاني الرجاء وحسن الظن بالله، وربط الطمأنينة بالإيمان والتوكل، كما ظهر في موقف الهجرة بقوله لأبي بكر رضي الله عنه :﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[28]. ومن ثم فإن العبادة والذكر والدعاء ليست أعمالاً تعبدية فحسب، بل وسائل لبناء السكينة والثبات النفسي.

وفي عصر تتزايد فيه الضغوط النفسية، والقلق، والتأثيرات الرقمية، يقدم المنهج النبوي نموذجاً متكاملاً للتوازن الانفعالي، يقوم على الإيمان، وضبط النفس، والتفاؤل، وحسن التعامل مع الآخرين. ومن خلال هذا التوازن يصبح الشاب أكثر قدرة على مواجهة الأزمات، واتخاذ القرارات، وخدمة مجتمعه بروح إيجابية.

المطلب السادس: الوعي المجتمعي وخدمة الأمة

لا تقف التربية النبوية عند إصلاح الفرد، وإنما تهدف إلى إعداد إنسان صالح يسهم في إصلاح المجتمع وبناء الحضارة. ولذلك ربط القرآن بين الإيمان والمسؤولية الاجتماعية، فقال تعالى :﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[29]، فخيرية الأمة مرتبطة بخدمة الناس، والأمر بالمعروف، والإسهام في تحقيق الخير العام.

وقد ترجم النبي ﷺ هذا المبدأ عملياً، فوزع الشباب على ميادين التعليم، والدعوة، والقضاء، والإدارة، والقيادة، وفق قدراتهم واستعداداتهم. فكان مصعب بن عمير داعيةً، ومعاذ بن جبل معلماً وقاضياً، وأسامة بن زيد قائداً، وابن عباس مرجعاً علمياً، مما يدل على أن التربية النبوية كانت تستثمر طاقات الشباب في خدمة الأمة.

كما عززت السيرة قيم الأخوة، والتعاون، والإيثار، والعمل الجماعي، وجعلت خدمة الناس معياراً للتميز، كما في قوله ﷺ :أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.[30] وبذلك تحولت الطاقات الفردية إلى مشروع حضاري يقوم على المسؤولية المشتركة.

وفي ظل تنامي النزعة الفردية في العصر الحاضر، تبرز الحاجة إلى استلهام هذا المنهج في المؤسسات التربوية والتعليمية، من خلال ترسيخ ثقافة التطوع، والمبادرات المجتمعية، والقيادة الأخلاقية، والمشاركة المدنية. فالشباب الذي يجمع بين الإيمان، والعلم، والخلق، والإحساس بالمسؤولية، هو الأقدر على الإسهام في نهضة مجتمعه ومواجهة تحديات عصره.

معالجة ضياع الهوية وغياب الغاية في ضوء النموذج التربوي النبوي

فاتضح من هذاه التفاصيل أنه لا يمكن معالجة أزمة الهوية وغياب الغاية من خلال حلول جزئية أو إجراءات ظرفية، لأنها في حقيقتها أزمة وعيٍ قبل أن تكون أزمة سلوك، وأزمة تصورٍ قبل أن تكون أزمة واقع. ومن ثم فإن استعادة التوازن الفكري لدى الشباب تقتضي إعادة بناء الإنسان من الداخل، وذلك بإحياء التصور الصحيح عن الله تعالى، وعن الإنسان، وعن الكون، وعن الرسالة التي خُلق الإنسان لأجلها، وهو ما شكّل الأساس الذي

قامت عليه التربية النبوية منذ بدايات الدعوة الإسلامية.

فقد بدأ النبي ﷺ ببناء العقيدة قبل بناء الدولة، وغرس اليقين قبل تكليف الأفراد بالمسؤوليات، وربط الإنسان بربه قبل ربطه بالمجتمع، حتى أصبحت هوية المسلم نابعة من إيمانه، لا من الانتماءات العرقية أو المصالح المادية أو المؤثرات الثقافية المتغيرة. ومن هنا فإن ترسيخ الهوية الإيمانية يمثل المدخل الأول لمعالجة الاضطراب الفكري الذي يعيشه كثير من الشباب في العصر الحاضر.

كما يقتضي ذلك إعادة بناء مفهوم الغاية في حياة الشباب، بحيث يدركون أن النجاح لا يُقاس بما يملكه الإنسان من مال أو شهرة أو مكانة اجتماعية فحسب، وإنما بقدر ما يحققه من عبودية لله تعالى، وإصلاحٍ في الأرض، ونفعٍ للناس، وإسهامٍ في عمارة الكون وفق القيم التي جاء بها الإسلام. وعندما تتحول هذه المعاني إلى قناعة راسخة، تصبح الدراسة، والعمل، والبحث العلمي، والإبداع، وخدمة المجتمع، جميعها وسائل لتحقيق رسالة الإنسان، لا مجرد أهداف مستقلة ينتهي أثرها بانتهاء منافعها الدنيوية.

ويؤكد النموذج التربوي النبوي كذلك أن بناء الهوية لا يتحقق بالانغلاق أو رفض معطيات العصر، وإنما بامتلاك مرجعية راسخة تمكّن الشاب من الانفتاح الواعي على الحضارات والثقافات المختلفة، مع القدرة على التمييز بين ما ينسجم مع قيمه وما يتعارض معها. فالهوية في المنظور الإسلامي ليست حاجزًا يمنع التواصل مع العالم، وإنما إطارٌ مرجعي يحفظ الثوابت ويوجه عملية التفاعل الحضاري.

وعليه، فإن مواجهة ضياع الهوية وغياب الغاية لا تكون بالخطاب الوعظي المجرد، وإنما ببناء مشروع تربوي شامل يستلهم المنهج النبوي في صناعة الإنسان، ويجمع بين ترسيخ العقيدة، وتنمية الوعي، وتزكية النفس، وبناء الشخصية، وإعداد القيادة، حتى ينشأ جيل يمتلك وضوح الرؤية، والثقة بهويته، والقدرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الثبات على المبادئ والإسهام الإيجابي في بناء الحضارة الإنسانية.

المبحث الثالث:التطبيقات العملية للتربية النبوية في إعداد الشباب: دراسة تحليلية لنماذج مختارة من الصحابة الشُبَّان رضي الله عنهم

كما مر بنا آنفا فإن التربية النبوية للشباب تمثل منهجاً متكاملاً يجمع بين العقيدة الصحيحة، وضبط مقصد الحياة، وتنمية البصيرة العلمية، وصياغة الشخصية الأخلاقية، وإعداد القيادة، وتعزيز المسؤولية المجتمعية. وقد تجلّت قيمتها في قدرتها على صناعة جيل واقعي جسّد هذه المبادئ في ميادين الحياة المختلفة، فكان الشباب في المدرسة النبوية علماء ودعاة وقادة وصناع حضارة، ولم يُؤجَّل دورهم إلى المستقبل بل جُعلوا شركاء في صناعة الحاضر. وفي الصفحات القادمة سنلاحظ منهم البعض في إيجاز واختصار.

1:علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نموذج المقصد والبصيرة والشجاعة

يعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أوائل النماذج التي تجلت فيها آثار التربية النبوية؛ فقد نشأ في بيت النبي ﷺ، ولازمه منذ صغره،[31] فتكوّنت شخصيته في ظل الوحي، مما أكسبه رسوخاً في الإيمان، وعمقاً في العلم، وسمواً في الأخلاق.

وقد كشف إسلامه المبكر عن أثر التربية النبوية في بناء شخصية مستقلة قادرة على اختيار الحق بعيداً عن ضغوط البيئة. كما تجلت ثقة النبي ﷺ به عندما كلّفه ليلة الهجرة برد الأمانات والمبيت في فراشه[32]، وهو تكليف يعكس إعداد الشباب لتحمل المسؤولية وغرس قيم الأمانة والتضحية.

وبرز رضي الله عنه بعد ذلك في العلم والفقه والقضاء[33]، حتى أصبح مرجعاً بين الصحابة، مما يدل على أن التربية النبوية كانت تهدف إلى بناء العقل الفقيه وربط العلم بالعمل، كما ظهرت شجاعته في ميادين الحق والعدل بقدر ظهورها في ساحات القتال. وتؤكد شخصيته أن الشباب متى اجتمع لهم الإيمان، والعلم، وحسن التربية، أصبحوا قادرين على تحمل المسؤوليات الكبرى، وهو ما تحتاج إليه الأجيال المعاصرة في مواجهة تحدياتها الفكرية والأخلاقية.

2:مصعب بن عمير رضي الله عنه: نموذج بناء الشخصية والدعوة

يمثل مصعب بن عمير رضي الله عنه نموذجاً واضحاً لقدرة التربية النبوية على إعادة بناء الإنسان من الداخل؛ إذ انتقل من حياة الترف إلى حمل رسالة الإسلام، بعد أن غيّر الإيمان أولوياته وقيمه، فصار همه الدعوة وخدمة الدين[34].

وقد تجلّت ثقة النبي ﷺ به حين بعثه إلى يثرب قبل الهجرة معلماً وداعية، فنجح في نشر الإسلام بالحكمة وحسن الحوار، وأسهم في تهيئة المجتمع المدني لاستقبال النبي ﷺ، مما يبرز أن المنهج النبوي كان يعدّ الشباب ليكونوا صناع تغيير لا مجرد متلقين للعلم.

وتبرز سيرته أن النجاح الحقيقي يقاس بالأثر النافع لا بالمكانة الاجتماعية، وأن الإصلاح يبدأ ببناء الإنسان، ويقوم على الحكمة، وحسن التواصل، وربط المعرفة بالمسؤولية، وهي مبادئ ما تزال تمثل أساساً لإعداد الشباب في العصر الحاضر.

3:معاذ بن جبل رضي الله عنه: نموذج البصيرة العلمية والاجتهاد

يجسد معاذ بن جبل رضي الله عنه اهتمام النبي ﷺ ببناء العالم الرباني القادر على الفهم والاجتهاد، فقد نمّى فيه ملكة الاستنباط، وربط العلم بمقاصد الشريعة وخدمة الناس، حتى غدا من كبار فقهاء الصحابة.

ويتجلى ذلك في بعثه إلى اليمن معلماً وقاضياً، وفي الحوار المشهور الذي قرر فيه منهج القضاء بالكتاب، ثم السنة، ثم الاجتهاد المنضبط، وهو ما يؤكد أن التربية النبوية لم تقتصر على نقل المعرفة، بل ربّت الشباب على التفكير المسؤول والاجتهاد الرشيد. وتقدم شخصية معاذ نموذجاً معاصراً يؤكد أن قيمة العلم ليست في كثرة المعلومات، وإنما في سلامة المنهج، وعمق الفهم، والقدرة على تنزيل الأحكام على الواقع، مما يجعل تنمية التفكير الناقد والاجتهاد المنضبط من أهم متطلبات إعداد الشباب اليوم.

4:أسامة بن زيد رضي الله عنه: نموذج الثقة والقيادة

تمثل شخصية أسامة بن زيد رضي الله عنه التطبيق العملي لمبدأ الثقة بالشباب في المنهج النبوي؛ إذ جعل

النبي ﷺ الكفاءة والإيمان أساس القيادة، بعيداً عن اعتبارات السن أو المكانة الاجتماعية.
وقد بلغت هذه الثقة ذروتها حين ولّاه قيادة جيش ضم كبار الصحابة، مؤكداً أن المسؤولية تُناط بمن يملك مقوماتها. ويكشف هذا الموقف أن منح الشباب المسؤولية يمثل في ذاته وسيلة تربوية لبناء الشخصية، وتنمية المبادرة، وتعزيز الثقة بالنفس. وتبرز سيرته الحاجة إلى تمكين الشباب في المؤسسات التعليمية والاجتماعية،وإتاحة الفرص العملية لهم، لأن إعداد القادة لا يتحقق بالمحاضرات النظرية وحدها، وإنما بالممارسة وتحمل المسؤولية.

5:عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: نموذج التربية الفكرية وبناء العقل العلمي

يعد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من أبرز النماذج التي تعكس عناية النبي ﷺ ببناء العقل العلمي؛ فقد وجّه موهبته وربطها بالوحي، ودعا له بقوله: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ، فكان ثمرةً لهذا الإعداد أن أصبح إماماً في التفسير والفقه. وقد قامت تربيته على الملازمة العلمية، وكثرة السؤال، والتأمل، وربط المعرفة بالواقع، مما يؤكد أن المنهج النبوي اعتمد تنمية الفهم والاستنباط، لا الاقتصار على الحفظ والرواية.
وفي عصر تتدفق فيه المعلومات، تبرز شخصية ابن عباس نموذجاً يؤكد أن قيمة العلم تكمن في الفقه الصحيح، والمنهج السليم، والقدرة على التحليل والتدبر، وهو ما يجعل بناء التفكير العلمي من أهم مقاصد التربية النبوية في إعداد الشباب.
والخلاصة أن هذه النماذج تؤكد أن التربية النبوية لم تؤجل الشباب إلى المستقبل، بل جعلتهم شركاء في صناعة الحاضر، وهيَّأتهم لتحمل المسؤولية منذ وقت مبكر. فقد جمعت بين الإيمان والعلم والأخلاق والقيادة، فخرج منها جيل أحدث تحوُّلاً حضارياً غير مسبوق. وفي واقعنا المعاصر، يحتاج الشباب إلى استلهام هذه المبادئ ليكونوا عوامل إصلاح وتغيير، يواجهون التحديات الفكرية والاجتماعية بثبات، ويقودون مجتمعاتهم نحو البناء والعمران. إن المؤسسات التعليمية والدعوية مطالبة اليوم بأن تستلهم هذا المنهج، فتمنح الشباب الثقة، وتربط العلم بالعمل، وتغرس فيهم مقصد الحياة، ليكونوا بحق صناع المستقبل وحملة الرسالة.

المبحث الرابع : التطبيقات المعاصرة للنموذج التربوي النبوي في إعداد الشباب

وحيث أظهرت الدراسة أن الأزمة الفكرية والقيمية التي يعيشها كثير من الشباب اليوم ترجع إلى خلل تربوي وحضاري متكامل، نتج عن ضعف المرجعيات، واضطراب منظومة القيم، وغياب البرامج التربوية الشاملة. كما بينت أن السيرة النبوية تقدم نموذجاً متكاملاً يجمع بين بناء العقيدة، وتنمية الوعي، والتزكية، وإعداد القيادة، وتحمل المسؤولية. غير أن فاعلية هذا النموذج لا تكتمل إلا بتحويل مبادئه إلى برامج عملية داخل مؤسسات التنشئة المختلفة؛ كالأسرة، والمؤسسات التعليمية، والمجتمع، والبيئة الرقمية، والسياسات العامة، بما يحقق التكامل في بناء شخصية الشباب.

تفعيل النموذج التربوي النبوي على مستوى الأسرة

تعد الأسرة المؤسسة الأولى في بناء شخصية الإنسان، وقد اعتمد المنهج النبوي في التربية الأسرية على الرحمة،

والحوار، والقدوة، والتدرج، وتعزيز الثقة وتحمل المسؤولية. وفي ظل ما تواجهه الأسرة المعاصرة من ضعف التواصل، وتأثير الوسائط الرقمية، وتراجع المرجعية القيمية، تبرز الحاجة إلى إحياء دورها التربوي من خلال تعميق الحوار، وغرس العقيدة، وتنمية المسؤولية، وبناء بيئة إيمانية تسهم في تحقيق الاتزان النفسي والفكري للأبناء. ومن ثم فإن نجاح الأسرة في أداء رسالتها يمثل المدخل الأساس لمعالجة الأزمة الفكرية لدى الشباب.

تفعيل النموذج التربوي النبوي في المؤسسات التعليمية

يرى المنهج النبوي أن التعليم عملية لبناء الإنسان قبل نقل المعرفة؛ ولذلك جمع بين العلم، والتزكية، والمسؤولية، وإعداد الشخصية. وفي المقابل، تميل كثير من المؤسسات التعليمية المعاصرة إلى التركيز على الجوانب المهنية وإهمال البناء القيمي. ويقترح النموذج النبوي إعادة الربط بين المعرفة والأخلاق، واعتماد نظام الإرشاد التربوي(Mentorship) ، وتشجيع الحوار والبحث العلمي، وتنمية التفكير النقدي، ليصبح التعليم وسيلة لإعداد شخصية علمية متوازنة تمتلك الكفاءة المهنية والالتزام الأخلاقي في آن واحد.

تفعيل النموذج التربوي النبوي على المستوى المجتمعي

تنشئة الشباب مسؤولية مجتمعية تشترك فيها الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والمساجد، ووسائل الإعلام، ومنظمات المجتمع المدني. وقد جسدت السيرة النبوية هذا التكامل من خلال ربط الشباب بالمجتمع عبر التعليم، والخدمة، والمشاركة العملية. ومع تراجع أثر المؤسسات الاجتماعية التقليدية واتساع تأثير الإعلام الرقمي، تبرز الحاجة إلى بناء بيئة اجتماعية إيجابية تعيد للمسجد دوره التربوي، وتوفر برامج علمية وتطوعية وثقافية، وتنتج محتوى إعلامياً هادفاً يعزز الهوية والقيم، ويُسهم في تنمية الوعي والمسؤولية لدى الشباب.

تفعيل النموذج التربوي النبوي في البيئة الرقمية

أصبحت البيئة الرقمية من أهم المؤثرات في تشكيل شخصية الشباب، بما تحمله من فرص معرفية وتحديات فكرية وأخلاقية. ويؤكد المنهج النبوي أن التعامل مع وسائل الاتصال ينبغي أن يقوم على التثبت، والصدق، وحسن الخطاب، والمسؤولية الأخلاقية. ومن ثم لا يكفي تنمية الثقافة الرقمية، بل يجب تعزيز الأخلاقيات الرقمية، وتنمية التفكير النقدي، وتشجيع الشباب على إنتاج المعرفة ونشر المحتوى الهادف، حتى تصبح التقنية أداة للبناء الفكري، لا سبباً للاضطراب القيمي.

تفعيل النموذج التربوي النبوي على المستوى المؤسسي والحكومي

ينظر المنهج النبوي إلى الشباب بوصفهم شركاء في بناء المجتمع والدولة، لا مجرد طاقة مستقبلية. ولذلك يدعو إلى تبني سياسات شبابية شاملة تجمع بين التربية الإيمانية، وتنمية القيادة، والخدمة المجتمعية، والعمل التطوعي، مع تعزيز التعاون بين الجامعات، والمساجد، والمؤسسات البحثية، والمنظمات الشبابية، والمنصات الرقمية. كما يؤكد أهمية إشراك الشباب في صنع القرار والمبادرات الوطنية، بما يعزز الثقة، ويهيئهم لتحمل المسؤولية والإسهام في التنمية.

نتائج البحث

أسفر التحليل العلمي لهذه الدراسة عن جملة من النتائج الرئيسة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

- **أولاً** :أن الأزمة الفكرية والوجودية التي يعاني منها شباب العصر الحاضر ليست مجرد ضعف ديني، وإنما هي نتاج عوامل فكرية، ونفسية، واجتماعية، وتعليمية، ورقمية؛ ولذلك فإن معالجتها تتطلب رؤية شمولية متكاملة، لا حلولاً جزئية أو مرحلية.
- **ثانياً** :أثبتت الدراسة أن السيرة النبوية تقدم منهجاً تربوياً متكاملاً ومتوازناً في إعداد الشباب، يجمع بين العقيدة، والعلم، والأخلاق، وتزكية النفس، والاستقرار الانفعالي، وتنمية القيادة، وتحمل المسؤولية المجتمعية ضمن منظومة واحدة مترابطة.
- **ثالثاً** :لم يكتفِ رسول الله ﷺ باعتبار الشباب رصيداً للمستقبل، بل منحهم .في حياته .مسؤوليات علمية، ودعوية، وإدارية، واجتماعية، وهيأهم عملياً للقيادة، مما يؤكد أن الثقة بالشباب تمثل أحد المبادئ الأساسية في التربية النبوية.
- **رابعاً** :تكشف النماذج التطبيقية المختارة من شباب الصحابة رضي الله عنهم أن المنهج النبوي يراعي الفروق الفردية، ويعمل على تنمية استعدادات كل فرد وفق طبيعته وقدراته، فلا يقوم على توحيد الأنماط، وإنما على الاستثمار الأمثل للمواهب والإمكانات.
- **خامساً** :أبرزت الدراسة أن السيرة النبوية تسهم في سد الفجوة القائمة في الأنظمة التعليمية المعاصرة بين المعرفة والقيم والغاية من الحياة، إذ تجعل التعليم وسيلةً لبناء الإنسان، وصناعة الشخصية، وخدمة المجتمع، لا مجرد وسيلة لاكتساب المهارات المهنية.
- **سادساً** :على الرغم من حداثة التحديات الرقمية، كالتضخم المعلوماتي، والذكاء الاصطناعي، والخوارزميات، وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي، فإن المبادئ الكلية التي أرستها السيرة النبوية .مثل التثبت من الأخبار، وأخلاق الحوار، والاعتدال، وتحمل المسؤولية، واستحضار المقاصد .تقدم إطاراً صالحاً للتعامل مع هذه التحديات.
- **سابعاً**:انتهت الدراسة إلى أن السيرة النبوية تقدم إطاراً نبوياً متكاملاً لتنمية الشباب(Integrated Prophetic Youth Development Framework)، يجمع بين البناء العقدي، والفكري، والروحي، والأخلاقي، والنفسي، والقيادي، والاجتماعي في منظومة تربوية واحدة قابلة للتطبيق في مختلف البيئات المعاصرة.

التوصيات

استناداً إلى النتائج التي توصلت إليها الدراسة، توصي بما يأتي:

- **أولاً:** على مستوى الأسرة: ينبغي للوالدين ألا يقتصر اهتمامهما على التحصيل الدراسي للأبناء، بل يحرصا على ترسيخ معاني الإيمان، ومقاصد الحياة، والأخلاق، والعبادة، والحوار البنّاء، وروح المسؤولية الاجتماعية داخل البيئة الأسرية، حتى تصبح الأسرة مؤسسة تربوية فاعلة في بناء الشخصية.
- **ثانياً:** على مستوى المؤسسات التعليمية: توصي الدراسة بأن تعمل الجامعات، والكليات، والمدارس، والمعاهد الشرعية على تطوير مناهج وبرامج تجمع بين التفوق العلمي، وبناء الشخصية، وتنمية التفكير النقدي، والقيادة، وخدمة المجتمع، مع اعتماد نظام الإرشاد الأكاديمي والتربوي (Mentorship System)بوصفه جزءاً مؤسسياً من العملية التعليمية.
- **ثالثاً:** على مستوى المؤسسات الدينية والمجتمعية: ينبغي للمساجد، والمراكز الإسلامية، والمؤسسات الشبابية، أن تنظم برامج علمية، ودعوية، وتطوعية، وقيادية مستمرة، تتيح للشباب توظيف قدراتهم في خدمة المجتمع، وتنمية روح المبادرة والعمل الجماعي.
- **رابعاً:** على مستوى البيئة الرقمية: توصي الدراسة بتعزيز برامج الثقافة الرقمية (Digital Literacy) والأخلاقيات الرقمية(Digital Ethics) ، وإنتاج محتوى معرفي موثوق، وإطلاق برامج تدريبية تُعنى بالاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعي ووسائل التواصل الاجتماعي، بما يسهم في تنمية الوعي الرقمي لدى الشباب.
- **خامساً:** على مستوى السياسات العامة: تدعو الدراسة إلى إعادة بناء السياسات الوطنية الخاصة بالشباب بحيث لا تقتصر على التشغيل وتنمية المهارات المهنية، وإنما تشمل التربية الأخلاقية، والخدمة المجتمعية، والعمل التطوعي، وتنمية القيادة، وتعزيز المسؤولية الوطنية، مع توسيع مشاركة الشباب في عمليات صنع القرار والتخطيط التنموي على المستويين المحلي والوطني.

الخاتمة

يعيش شباب العصر الحاضر في مرحلة بلغت فيها المعرفة الإنسانية والتطور التقني آفاقاً غير مسبوقة، غير أن هذا الاتساع المعرفي صاحبه ازدياد ملحوظ في مظاهر الاضطراب الفكري، والغموض القيمي، وأزمات الهوية، وفقدان المعنى. ويؤكد ذلك أن بناء الإنسان لا يتحقق بمجرد امتلاك المعلومات، أو اكتساب المهارات، أو تحقيق النجاح الاقتصادي، وإنما يحتاج إلى منظومة تربوية متكاملة تعنى بالعقيدة، والفكر، والأخلاق، والوجدان، والمسؤولية الاجتماعية في آن واحد.

وقد أثبتت هذه الدراسة أن السيرة النبوية تقدم نموذجاً تربوياً شاملاً يحقق هذا التكامل؛ إذ لم يقتصر رسول الله ﷺ على توجيه الشباب بالمواعظ والخطب، وإنما اكتشف مواهبهم، وآمن بقدراتهم، وأعدهم علمياً وعملياً، وأسند إليهم مسؤوليات حقيقية تتناسب مع إمكاناتهم، حتى تخرجت على يديه نخبة من القيادات الشابة التي

أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية خلال فترة وجيزة، وقدمت نماذج خالدة في العلم، والدعوة، والقيادة، والعدل، والإصلاح.

كما بينت الدراسة أن جوهر الأزمة التي يعاني منها الشباب اليوم لا يتمثل في ضعف المعرفة أو تراجع الإمكانات، وإنما في غياب الغاية التي تنتظم حياة الإنسان وتوجه قدراته. فإذا غابت الغاية، تحولت المعرفة إلى معلومات متفرقة، والحرية إلى اتباع للأهواء، والتقنية إلى وسيلة للهيمنة على الإنسان، وأصبح النجاح محصوراً في المقاييس المادية. أما المنهج النبوي فإنه يعيد بناء الإنسان على أساس الرسالة، بحيث يرتبط العلم بالعبادة، والقيادة بالأخلاق، والنجاح الفردي بخدمة المجتمع.

وانطلاقاً من ذلك، تنتهي هذه الدراسة إلى أن السيرة النبوية ينبغي ألا تُقرأ بوصفها مجرد سجل تاريخي أو مجموعة من المواعظ الأخلاقية، بل باعتبارها نظرية تربوية متكاملة لتنمية الشباب (Prophetic Theory of Youth Development) تمتلك أصولاً معرفية، وأبعاداً تربوية، وآليات تطبيقية قادرة على الاستجابة لتحديات العصر.

وتمثل هذه الرؤية الإسهام العلمي الأبرز للدراسة؛ إذ أعادت بناء المبادئ التربوية المستمدة من السيرة النبوية في صورة إطار نظري متكامل يجمع بين الأبعاد الفكرية، والروحية، والأخلاقية، والنفسية، والقيادية، والاجتماعية.

وبناءً على ذلك، فإن إعادة صياغة سياسات الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والمراكز الدينية، ووسائل الإعلام، والهيئات الحكومية في ضوء المبادئ التربوية النبوية من شأنها أن تسهم في الحد من الأزمة الفكرية والوجودية التي يواجهها الشباب المعاصر، وأن تهيئ جيلاً يمتلك الإيمان، والعلم، والأخلاق، والكفاءة، والقدرة على الإسهام الإيجابي في نهضة مجتمعه. وبهذا تغدو السيرة النبوية، بما تحمله من مبادئ خالدة، ليست مجرد تراث تاريخي يُستحضر للماضي، بل مشروعاً حضارياً متجدداً لبناء الحاضر واستشراف المستقبل.

الهوامش

[1] المؤمنون: 115

[2] الأنبياء: 60

[3] الكهف: 13

[4] ابن المبارك، الإمام عبد الله، الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد، دار الكتب العلمية، رقم الحديث: 2 (1 / 2)

[5] البخاري، محمد بن إسماعيل،صحيح البخاري، دار طوق النجاة، 1422، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث: 1395 (2 / 104):

[6] صحيح البخاري، باب مناقب زيد بن حارثة (5 / 23) رقم الحديث:3730

[7] الذاريات: 56

[8] العثماني، المفتي محمد تقي، الإسلام والنظريات السياسية، الناشر: مبدأ، الأردن 2014 ص: 178.

[9] لمفهوم الهوية ليراجع: د. سالم العزاوي، العلاقات العامة والهوية الثقافية، دار المعرفة للنشر والتوزيع، فبراير 2025، ص 150 وما بعدها.

[10] للاستزادة حول الموضوع ليراجع: خروب، الدكتور عبد الحميد عبد القادر، تحديات العولمة للشباب ومواجهتها في ضوء السيرة النبوية، بحث علمي محكم نشر في مجلة البصيرة، المجلد 6 العدد: 1، ص 202.

[11] الإمام ابن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، باب في الإيمان رقم الحديث: 61 (1 / 23)

[12] السندي، الشيخ محمد عابد، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، طبعة كراتشي، ص 31.

[13] الذاريات: 56

[14] الإمام الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ت شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م ، رقم الحديث: 2516 (4 / 667)

[15] صحيح البخاري رقم الحديث: 1395 (2 / 104)

[16] النساء: 82

[17] الروم: 21

[18] صحيح البخاري، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم الحديث: 143 (1 / 41)

[19] ابن أبي شيبة، المصنف، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1409 رقم الحديث 29100 ، (6 / 13):

[20] محمد حسان، سلسلة مصابيح الهدى، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ومتوفر على http://www.islamweb.net

[21] صحيح البخاري، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم الحديث: 6414 (8 / 88)

[22] صحيح البخاري، باب الجمعة في القرى، رقم الحديث: 893 (2 / 5)

[23] صحيح البخاري، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3905 (5 / 58):

[24] البقرة: 129

[25] البقرة: 143

[26] صحيح البخاري، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث: 6116 (8 / 28)

[27] صحيح البخاري، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث: 6114 (8 / 28)

[28] التوبة: 40

[29] [آل عمران: 110]

[30] الإمام الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين القاهرة، رقم الحديث5787 (6 / 58):

[31] ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي، دار الفكر بيروت 1978 (1 / 137): (وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام)

[32] عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام ت السقا، : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م (1 / 485):

(أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيما بلغني- أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع، التي كانت عنده للناس)

[33] الإمام ابن ماجه، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، باب مناقب زيد بن ثابت، رقم الحديث 154، (1 / 55)

[34] https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/6/9/